العين النفّاذة والأذن المرهفة لأبصرت الكرز والخوخ والتفّاح تتكوّن على مهل في جذورها ولسمعت الأوراق تصفّق للنسائم العابثة بـأغصـانها. ولكـنّ على عينيّ غشـاوة فـوق غشاوة. ولكنّ في أذنيّ سطاماً فوق سطام. فأفٍّ ثمّ أفٍّ لعين لا تبصر أنّها لا تبصر. وأفٍّ ثمّ أفٍّ لأذن لا تسمع أنّها لا تسمع. وتباركت الأرض التي تحملني. فهي أرض مقدّسة.

وها أنذا في وسط حقل منبسط الوجه منفرج الأسارير. لقد عرفته من تلك الصخرة العالية المستديرة القائمة عند حدّه الشرقيّ. ففي الخريف الغابر جلست في ظلّها أتحدّث إلى صاحب الحقل وقد راح ابنه الأكبر يبذر الأرض قمحاً ثمّ يدفن البذار بمحراث يجرّه ثوران فتيّان أسودان. إنّ تحت قدميّ لمصنعاً آخر للعجائب والغرائب. فبذور تموت لتحيا، وجذور متجمّدة ترضع الدفء والعافية من صدور التراب والثلج والحصى. وهذا البساط الأبيض ليس أكثر من دثار تدثّرت به إلى حين ربوات من السنابل والأعشاب والأشواك والأقاحي وكلّها سيدرج قريباً إلى الهواء الطلق ـ إلى النور ـ ليغدو فيما بعد متعة للعين والأنف والأذن، ثمّ لحماً وشحماً ودماً وعظماً وعضلات وعافية وحركة في آلاف آلاف الأبدان من بشر وبهيمة وطير وحشرات وهوامّ.